الوقفة السابعة

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ﴾

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾ (الذاريات).

هذه الآية الكريمة من سورة الذاريات استوقفتني طويلاً، وأحسستُ أنها تنطوي على جملة من المعاني والأسرار لا نستطيع حصرها، تؤكد على بلاغتها وفصاحتها وإعجازها، فهي مُعْجِزَةٌ في كل شيء، مُعْجِزَةٌ في كلماتها وحروفها، مُعْجِزَةٌ في سياقها، مُعْجِزَةٌ في معانيها ومقاصدها.

يتبين ذلك كله من خلال هذه الوقفة التأملية.

❁ بين يدي الآية:

لقد جاء ذكر لفظ هذه الآية العظيمة في موضوع من آيات سورة الذاريات يلفت انتباهَ من تأمَّلها وتدبَّرها.

فبعد أن تحدَّثت الآيات عن بعض مظاهر قدرة الله ﷻ في الكون، والتي أكدت على صدق وعده جلَّ وعلا ببعث الخلائق في يوم الحساب لمحاسبتهم على ماقدَّموه في دنياهم ومجازاتهم عليه. حيث أعدَّ النار للخرَّاصين المكذِّبين، وأعدَّ

الجنة للمؤمنين الصالحين.

انتقلت الآيات بعد ذلك لتقصَّ علينا بعضًا من قصص الأنبياء والمرسلين، وما تعرَّضوا له من أقوامهم من إيذاء وتكذيب.

ثم ما حدث لهؤلاء المكذِّبين من هلاك ودمار وانتقام من ربِّ العالمين. بسبب إعراضهم عن دعوة الحق التي جاء بها أنبياؤه ورسله. فعرضت الآيات لقصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع أضيافه من الملائكة المكرمين الذين مَرُّوا عليه أثناء مسيرتهم إلى قرية نبي الله لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لإهلاكها وتدميرها بمن فيها من الفجرة المجرمين، وتخليص عباد الله الطاهرين المطهَّرين. كل هذا بأمر من رب العالمين، وذلك بدءًا من قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ (الذاريات).

ثم عرضت الآيات بعد ذلك في إشارة سريعة لقصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع فرعون، وماحدث من تكذيب فرعون له، وتكبُّره

وإعراضه عن دعوة الحق؛ مما كان سببًا في هلاكه هو وجنوده في اليم. ثم ما حدث بعد ذلك لكل من قوم عاد وثمود وقوم نوح، مما أصابهم من العذاب والهلاك، بسبب تكذيبهم وعنادهم. كما في قوله تعالى: ﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ٤١ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ٤٢ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ٤٣ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٤٤ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ٤٥ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٤٦ ﴾(الذاريات)

تنتقل الآيات بعد ذلك لتظهر جانبًا آخر من جوانب عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته في بناء السماء ورفعها وتوسيعها ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ ﴾، وفي فرش الأرض وتمهيدها لعباده ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ٤٨ ﴾، ثم قدرته وحكمته في خلق كل شيء من ذكر وأنثى ﴿ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٤٩ ﴾، ثم تأتي هذه الآية بعد ذلك لتقول: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ ﴾.

هذا العرض المشار إليه سريعًا لهذه الآيات، والتي تسبق تلك

الآية يشير إلى نوع من الإعجاز القرآني هو إعجاز السياق.

فالمتأمِّل لموضع هذه الآية ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ من الآيات التي تسبقها يَشْعُرُ وكأن تلك الآيات قد جاءت تهيئةً وتمهيدًا للوصول إلى تلك الآية، التي هي الغاية والهدف لكل ما سبق.

❁ ❁ ❁

• إعجاز السياق:

وبمعنى أوضح: كأن ربَّ العزة جلَّ وعلا يقول لعباده - وله المثل الأعلى، وهو أعلم بمراده من كلامه - أن ياعبادي.. أنا صاحب القدرة والقوة والعظمة، فأنا الذي أرسلت الرياح، وأجريت السفن، وخلقت الملائكة، وأنا القادر على بعثكم بعد موتكم، وسأحاسبكم على أعمالكم في الدنيا وأجازيكم بها.

فالمكذبون الضالون لهم العذاب الأليم، والمؤمنون المصدقون لهم جنات النعيم، وأنا الذي أهلكت الظالمين المعاندين المتكبرين، وأنجيت المؤمنين الصادقين، ونصرت عبادي المرسلين، وأنا الذي رفعت السماء وبسطت الأرض، وأنزلت الرزق، وقدَّرت مقادير الخلق، وأوجدت فيكم من الآيات ما يدل على عظمتي وحكمتي، وخلقت كل شيء من ذكر وأنثى

بقدرتي. فليس لكم بعد ذلك إلا أن تلجأوا إليَّ في نوائبكم، وتستعينوا بي في قضاء حوائجكم، وتستنصروا بي على أعدائكم ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾، هذا عن السياق وإعجازه.

أما عن إعجاز الآية في كلماتها وحروفها، فلنا معها عدة وقفات:

❁ الوقفة الأولى:

مع كلمة ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾. فهذه الكلمة تشتمل على عِدَّة أمور:

- ✓ **أولها:** ما ينبغي الفرار منه.
- ✓ **الثاني:** مَن يجب الفرار إليه.
- ✓ **الثالث:** كيف يكون الفرار؟
- ✓ **الرابع:** عامل الوقت والزمن.

الأمر الأول: ما ينبغي الفرار منه. ماهو؟

من المعلوم أن الفرار لا يكون إلا من أمر قد تأكد خطره، وتحقُّق شرِّه وضرره، وضعفت الهِمَمُ عن رفعه، ولم تقوَ النفس على ردعه، وتخلَّت الأسباب، وذهب النداء إلى حيث لا جواب.

هذا الخطر هو كل ما يحول دون المرء وعزته، وسعادته وراحة باله، وهو كل ما فيه مخالفة لأمرالله تعالى وشرعه

وهديه، مما يعود على العبد بضيق في العيش، وسوء في الحال، وشقاء وعذاب في الدنيا، مع ما قد ينتظره من عذاب الله في الآخرة إن لم يغفر له.

فهذا كله هو ما ينبغي الفرار منه.

الأمر الثاني: من يجب الفرار إليه. وهو الله ﷻ:

فمن المعلوم أيضًا أن من يستحق الفرار إليه لابد أن يكون أهلاً لتحقيق النجاة والسلامة والأمن والسعادة لمن يفرون إليه ويلوذون به. وليس هناك بالتأكيد من هو أهلٌ لذلك كلِّه غير الله ﷻ، والذي بيَّن وفصَّل لعباده أهليته المطلقة لهذا. من خلال عرضه لمظاهر القدرة والعظمة المذكورة في الآيات قبل ذلك.

الأمر الثالث: كيف يكون الفرار؟

هل يكون بالبدن وبترك المكان؟ فأقول: هذا طبعًا حسب ما يقتضيه الحال، فإذا كان العبد في موطن مضيَّقٍ عليه فيه. فلا يتمكن فيه من إقامة شرع الله وأداء ما افترض الله عليه من فرائض، وإظهار دينه، فهذا يجب عليه الفرار بترك المكان، والهجرة إلى بلد آخر يستطيع فيه إقامة دين الله وشرعه، كما قرَّر أهل العلم ذلك، لكن الفرار الأولى والفرار الأصل هو ترك الحال إلى أفضل حال. كما قال

النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ}[1].

- والفرار إلى الله يعني الفرار إلى دينه وشرعه. والفرار إلى هدي نبيه وسنته. كما يعني التوبة والإقلاع عن الذنوب والمعاصى والآثام، والاستقامة على منهج رب الأنام.

- الفرار إلى الله يعني أداء الفرائض والواجبات، والإكثار من النوافل والمستحبات. وترك المحرمات والمكروهات.

- الفرار إلى الله معناه الفرار إلى بيوته، بإعمارها بالصلاة والذكر فيها. والفرار إلى كتابه (القرآن الكريم) بالتلاوة والتدبر والعمل بما فيه.

- الفرار إلى الله يعني إجمالاً تحقيق العبودية الكاملة لله ﷻ.

الأمر الرابع: هو عامل الزمن والوقت:

حيث تشير كلمة ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾ إلى ضيق الوقت، وقصر المدة، وقرب الأجل، بحيث لا يُسعِف البطء، ولا يجدي التروي أو التمهل، ولا ينفع التسويف.

فالأمر يحتاج إلى سرعة، وجدٍّ في السير، وإلى همة وعزيمة، ولذلك فإن التوبة لا تؤجَّل، ولا يسوَّف فيها، لأن المرء لا يدري ما يكون له في الغد، ولا يعلم متى أجله. وإن نيل رضوان الله

(١) أخرجه البخاري، ح (١٠)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

لا يحتاج إلى مشورة ولا إمهال.

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ (آل عمران).

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ (الحديد)، إذنْ فالفرار يقتضي الإسراع والجد.

❁ الوقفة الثانية:

وهي مع ذات الأمر المذكور في كلمة ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾ حيث جاء الأمر هنا بصيغة الجمع.

والمتأمل لهذه العبارة ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ بجزئيها - ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾ و﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ - يدرك عظمة التوحيد، وحقيقة التجريد. كما يشعر بحلاوة التوكل، وصدق اليقين، ويستشعر معنى العبودية.

فالأمر في كلمة: ﴿فَفِرُّوٓاْ﴾ إلى جميع الخلق على اختلاف أنواعهم وأجناسهم، وصنوف أشكالهم وألوانهم، واختلاف ألسنتهم ولهجاتهم، وتباعد ديارهم وأقطارهم، وتعدُّد الأخطار المحيطة بهم، والأزمات والبلاءات التي تواجههم، وتعدُّد شكواهم، وتباين مشكلاتهم، فهذا يشكو مرضًا، وذاك يشكو فقرًا،

وثالث يشكو حَيْرَةً وقلقاً، ورابع يشكو بخلاف ما يشكو الخامس، وهكذا...

وعلى صعيد الأمم والشعوب تجد أمة تعاني مشكلة اقتصادية، وأخرى تعاني مشكلة اجتماعية، وثالثة أزمتها سياسية.. وهكذا

ثم تأتي كلمة ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ فتكتمل بها منظومة التوحيد، حيث تؤكِّد الكلمة على (وحدة الغاية، ووحدة المصير، ووحدة الملجأ والملاذ) فالجميع مطالب بالفرار إلى جهة واحدة. إلى اللّه وحدَه.

- **فرار من اللّه إلى اللّه:**

هذا. وإذا كان الفرار إلى اللّه، فهو أيضًا قبل ذلك فرار من اللّه، لأنه هو وحدَه سبحانه وتعالى صاحب الأقدار ومقدِّرها ومنزلها، وهو وحدَه بيده القضاء، وبأمره ينزل البلاء.

وهو وحدَه أيضًا كاشف الضراء ورافع البلاء. والفرار إلى اللّه هو فرار من كل بلاء قدَّره، ومن كل قضاء قضاه وقرَّره، ثم الفرار إليه لكشف الضُّر، وتبديل العُسر باليُسر.

إنه الفرار من اللّه، والفرار إلى اللّه. وتلك هي عظمة التوحيد، وغاية العبودية. والتى عبَّر عنها النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بهذا الدعاء { لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَى مِنْكَ إِلا إِلَيْكَ }[١].

وقد حلَّ إشكالَها الفاروقُ عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قال له أَبُوعُبَيْدَةَ ابْنُ الجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو يحاوره بشأن الطاعون بأرض الشام، «أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟» فَقَالَ عُمَرُ: «نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ»[٢]. يقصد عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقدر الله (الأولى): وباء الطاعون. والفرار منه يكون بعدم دخول أرض الشام. ويقصد بقدر الله (الثانية) النجاة والسلامة والعافية من هذا البلاء.

فالأمر كله من الله، والأمر كله بعد ذلك لله، وإلى الله قال تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ (الروم: ٤).

وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ (يس).

وقال تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ (هود: ١٢٣).

وقال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (القصص).

• هو الصمد:

والله ﷻ يسع العباد جميعًا في دعواتهم وتوسُّلاتهم، ولجوئهم

---

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود، ح (٥٠٤٦)، والترمذي، ح (٣٣٩٤)، وقال: حسن صحيح غريب. عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر ما أخرجه البخاري ح (٥٧٢٩)، ومسلم، ح (٢٢١٩).

وفرارهم إليه، فهو الصمد الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم. وهو القادر على إجابة كلِّ من يدعوه، وإعطاء كل من يسأله. في وقت واحد. لا يشغله أمر عن أمر، ولا يختلط لديه سِرٌّ في جهر، بل يسمع الصوت والنجوى، ويعلم السر وأخفى.

• **ومن العجيب ...!!**

ومن العجيب أنه قد يدعو داعٍ بدعوة تتناقض مع دعوة داعٍ آخر، أو يسأل سائل حاجة تتعارض مع حاجة سائل آخر، أو قد يتعرض عبدٌ من عباده لدعوتين مختلفتين: دعاء خير له من محبٍّ، ودعاء عليه بالسوء من عدو. واللّه يسمع هذا وذاك، وقد يستجيب من هذا وذاك، فلا يؤثر ذلك على قضائه وحكمه، ولا يخرج ما قضاه عن نطاق حكمته وعدله. ولا يتعارض مع مقتضى رحمته وفضله.

سبحانه هو القائل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾(الملك).

❁ الوقفة الثالثة:

وهي نظرة إلى الواقع المؤلم الذي تعيشه الأمة الآن، والتي هي أحوج ما تكون إلى هذا الفرار، أفرادًا وجماعات. حيث صرنا في غربة لا يعلم وحشتها إلا اللّه جلَّ وعلا، ثم المستمسكون بهذا الدين من هذه الأمة، غربة قد ذلَّت فيها الرءوس للرؤوس،

وخضعت النفوس للنفوس.

وصار صاحب (قال الله، وقال رسوله) يُنظر إليه على أنه من عالم آخر. فما أشدَّها من غربة.

- **نداء لكل مسلم:**

ولذلك فإني أوجِّه هذا النداء لكل مسلم يبغي النجاة، ويَنْشُدُ السلامة. فأقول له:

يا أخى: لقد ذلَّت الرءوس للرءوس، وخضعت النفوس للنفوس، فإذا رأيت نفسًا ذلَّت لنفس، ورأسًا خضعت لرأس، فالجأ إلى مَن ملَك الرأس والنفس، والقلب والحِسَّ، وعلم الجهر والهمس. الجأ إليه، وأْنَسْ به، فنعم الرجاء ونعم الأنس، ولا تركن إلى من يتخبطه الشيطان من المسِّ.

إذا وجدت الفِطَرَ قد تغيَّرت، والنفوس للحقِّ تنكَّرت، والقلوب عن السبيل القويم تحوَّلت، وبالأمانى تعلَّقت وتشبَّثت، ورأيت دنيا الأهواء تزيَّنت وتزخرفت، فاعلم أنه قد حان الفرار من الأقدار إلى صاحب الأقدار.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾

فِرُّوا إلى الله من أنفسكم ... فِرُّوا إلى الله من غيركم.

فِرُّوا من ذنوبكم إلى عفو ربكم.. فِرُّوا بقلوبكم وأبدانكم.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾

فِرُّوا إلى الله مما سواه ... فِرُّوا من الضلال إلى هداه.
فِرُّوا من غضبه إلى رضاه ... فِرُّوا إلى خشيته وتقواه.

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ ﴾

فِرُّوا من معصيته إلى طاعته... فِرُّوا من ضعفكم إلى قوته.
فِرُّوا من عجزكم إلى قدرته ... فِرُّوا من حولكم إلى سلطته.
فِرُّوا من مرادكم إلى إرادته ... ومن أمانيِّكم إلى مشيئته.

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ ﴾

فِرُّوا من البدعة إلى السُّنَّة ... فِرُّوا من النار إلى الجَنَّة.
فِرُّوا من الناس والجِنَّة ... فِرُّوا إلى الله صاحب المِنَّة.

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ ﴾

فِرُّوا من الجَفوة إلى الوِصال.. فِرُّوا من الحرام إلى الحلال.
فِرُّوا إلى الله قبل الزوال ... قبل المَلامة والوقفة والسؤال.

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ ﴾

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمَّت بحمد الله هذه الوقفات التأمُّليَّة. فاللهم انفعنا بها يارب العالمين.

❁ ❁ ❁

خاتمة

وبعد أن طفنا سويًّا في هذا البستان اليانع، مع تلك الوقفات التأمليَّة في كتاب الله ﷻ، لا يبقى إلا أن أوجه نداء من قلبي إلى شبابنا الغالي. شباب الأمة الإسلامية في كل مكان. أدعوهم جميعًا إلى عودة صحيحة لكتاب الله تعالى (القرآن الكريم) والالتفاف حوله: تالين لآياته، متأملين فيها، متدبرين لمعانيها، باحثين عن الدرر الكامنة في كلماتها وحروفها، وبين سياقها، مترجمين ذلك عملاً وأخلاقًا وسلوكًا على أرض الواقع، حتى يعلم العالم كله، ويرى بالدليل العملي الواضح عظمةَ دينِنا. وجلالَ قرآننا. ولنثبت لهم أن القرآن الكريم ليس مجرد كتاب روحي كما يدعي البعض، وإنما هو كتاب عقيدة وعبادة، وعمل وأخلاق وسلوك، ومنهج حياة كامل، وهو كتاب عِلْمٍ. علَّم السابقين، وعلم اللاحقين، ولا يزال إلى الآن وسيظل إلى يوم القيامة بحرَ علمٍ لمن أراد أن يتعلم.

بالعلم كان نداؤه ونداؤه ** للعالمين قد سبق الورى

نادى بـ (اقرأ) و(اعلموا) ** للعقل نادى أن يسير وينظرا

وكفانا بُعْدًا عن هذا الكتاب العظيم، الذي هو سرُّ سعادتنا. وسرُّ عزِّنا، وأصل عزَّتِنا التي سُدْنا بها العالم على مدى قرون طويلة. ولن تعود العزة للمسلمين كما كانت إن ظل دينهم حبيس المساجد، وقرآنهم حبيس الأوراق والأرفف.

وإني أخشى أن نكون ممن عناهم وقصدهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شكواه لربه من قومه تجاه هذا الكتاب المبارك، في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ (الفرقان).

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصَّتُه.

والحمد لله ربِّ العالمين

وكتبه:

أبو عبد الله

رشاد بن عيد سرحان طاحون

❁ ❁ ❁

المراجع

١. القرآن الكريم

٢. إبطال الحيل أبو عبد الله ابن بطة العكبري

٣. تفسير جامع البيان أبو جعفر ابن جرير الطبري

٤. تفسير القرآن العظيم إسماعيل بن عمر ابن كثير

٥. رياض الصالحين يحيى بن شرف النووي

٦. الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي

٧. سنن ابن ماجه أبو عبد الله ابن ماجه القزويني

٨. سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني

٩. سنن الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي

١٠. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية أحمد ابن تيمية

١١. شرح السنة للبغوي أبو محمد الحسين البغوي

١٢. شعب الإيمان أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي

١٣. صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري

١٤. صحيح ابن حبان أبو حاتم محمد بن حبان البستي

١٥. صحيح الجامع محمد بن ناصر الدين الألباني

١٦. صحيح مسلم مسلم بن الحجاج النيسابوري
١٧. الفتاوى الكبرى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية
١٨. لسان العرب جمال الدين ابن منظور
١٩. المستدرك على الصحيحين أبو عبد الله الحاكم
٢٠. مسند أحمد أبو عبد الله أحمد بن حنبل